كذا
كانت الرياض

عبدالله العلي النعيم
رئيس مجلس أمناء المعهد العربي لإنماء المدن

مما لا شك فيه أن الرياض كانت مقبلة على التطور من جميع النواحي، ولعل من أبرز المعالم العمرانية التي كانت قد انتهت أو في طور البناء، جامعة الملك سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطار الملك خالد بن عبدالعزيز الدولي، حي السفارات، وعددًا غير محدود من الطرق الرئيسة.

وعندما تسلمت شرف العمل أمينًا لمدينة الرياض كانت مدينة صغيرة نسبيًا، وقد بدت ملامح التطور فيها تظهر لما بذله المرحومان الأميران فهد الفيصل وعبدالعزيز بن ثنيان من جهد مشكور في حدود إمكانيات الأمانة في ذلك الوقت، لكن كانت هناك عوائق عدة، مثل: النظافة ومجرى البطحاء المكشوف، وعدم انتظام البناء؛ نظرًا لقلة المراقبين وقلة خبرتهم.

أمَّا ما يخص عملي في الأمانة، وبداياته، فالواقع أنني جندي في خدمة بلادي وحكومتي، والجندي يقبل المكان الذي يوجه إليه خاصة إذا كانت ثقة ولاة الأمر في بلادنا - حفظهم الله - هي التي دعت إلى هذا التوجيه.

وقد كانت الخطوة الأولى لهذا العمل حينما كلفت بإدارة شركة الغاز والتصنيع الأهلية ضمن لجنة شكلها مجلس الوزراء إثر أزمة توزيع الغاز في المملكة أواخر عام ١٣٩٣هـ، وكنت في ذاك الوقت

عائدًا إلى المملكة؛ إذ كنت أعمل في بريطانيا مسؤولاً عن طلاب الدراسات العليا في مكتب الملحق الثقافي السعودي، وكنت في الوقت نفسه أواصل دراستي للحصول على الدكتوراه من جامعة كمبردج. تسلمت بعد ذلك العمل في شركة الغاز، وشاء الله - العلي القدير - أن تنتهي تلك الأزمة بسرعة فائقة. وقد عملت مع اللجنة على ضم مؤسسات الغاز العاملة في المملكة في شركة واحدة، وقمت بزيارة إلى صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز وزير الشؤون البلدية والقروية رحمه الله؛ لأطلب منه أرضًا لمحطة الغاز في الدمام، وقد رحب بي سموه وقال: سوف نعطيك ما تطلبه وهو يبتسم؛ لأننا سوف نحتاجك في عمل آخر.

لم يدر في خلدي تلك اللحظة أنه يقصد أمانة مدينة الرياض، وبعد فترة اتصل بي سموه، وأخبرني أنه رشحني لهذا العمل الجليل والمهمة الكبيرة، ثم استدعاني صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، وكانت تربطني به علاقة طيبة منذ سنوات عدة؛ حيث كنت مديرًا لمعهد المعلمين، ثم مديرًا عامًا للتعليم في منطقة الرياض (اسمها ذلك الوقت منطقة نجد)، ثم مسؤولاً رئيسًا بجامعة الملك سعود، فأخبرني سموه الكريم أنه اتفق مع سمو الأمير ماجد على ترشيحي، وقال لي: أنت لست غريبًا عني، وما حققته في المجالات التي عملت بها جعلتنا نطمئن إلى حسن أدائك، وأخبرني سموه أن العمل في الأمانة كبير وشاق ومتشعب، وأكد لي مؤازرته، وتقديم العون الكبير، والمشاركة في إنهاء ما يعرض لي من مشاكل. ثم ذهبت إلى سمو الأمير ماجد، وشكرته على حسن ظنه بي، وكنت واثقا بأنه سوف يسندني، ويقف هو أيضًا إلى جانبي. وأذكر أنني قلت له: يا سمو الأمير، أنا سأكون موظفًا تحت رئيسين: أنت وزير الشؤون البلدية، وسمو الأمير سلمان أمير المنطقة، وأنا لا أستغني عن أي منكما، وأريد أن أستعين في عملي بكما.

وعندما تسلمت العمل أوليت جهدًا خاصًا لأمرين:

الأول: نظافة المدينة، وكانت الوزارة قد أرست عقد النظافة على شركة سعودية أمريكية إنجليزية، ولدى توقيع العقد أعطيت الشركة سنة كاملة للتجهيز، لكني أردت ألاَّ تتسلم الشركة العمل إلا بعد أن تكون الرياض نظيفة تماما؛ حتى لا يقال: إن الأجانب هم الذين قاموا بتنظيفها بعد أن عجز أهل البلد عن ذلك، فقمت بزيادة رواتب العمّال، واستعَنتُ بالمقاولين (تبرعا) بمعداتهم وسياراتهم، ووقفت مع العمال والمعدات في كل مكان، كما استقدمت الأمانة عمالاً من باكستان لزيادة العدد، كذلك تعاقدنا مع عدد من المؤسسات الوطنية لتنظيف بعض الأحياء؛ إذ لم يكن عدد العمال كافيًا لنظافة المدينة، وعندما تقرر تسليم الشركة العمل قمت مع مدير عام الشركة بجولة على كامل أحياء الرياض، وكانت نظيفة تمامًا؛ فطلبت من المدير العام أن نوقع على محضر يبين أن الرياض نظيفة تمامًا قبل تسلم الشركة عملها.

الثاني: تطبيق نظام البناء في المدينة بشكل جاد ودقيق وهو أمر مهم؛ لتنظيم المدينة، وتحقيق العدالة بين الناس، وقد استجاب المواطنون كثيرًا، حيث وجدوا الثقة في أمانتهم، لكن ليس معنى ذلك أنه لم تحصل مشاكل أو مخالفات، لكن الإخلاص في العمل والأمانة، والدقة والصرامة التي تحلى بها رجال الأمانة، والدعم غير المحدود من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز وصاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز أنهى هذه المشاكل، وأوقف المخالفات، وتمت إزالة عدد لا يحصى من المخالفات حتى اطمأنت الأنفس، وتجاوب الأهالي. وقد استعنت بمجموعة كبيرة من الشباب المتعلم والمتحمس، وكانت آثار ذلك إيجابية.

وقد تحقق - بفضل الله عز وجل ثم بدعم الحكومة الرشيدة وبإشراف مباشر من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان - لمدينة الرياض الكثير من الإنجازات، وليس من السهل حصره في ورقة أو وريقات،

لكني سأعطي بعض الأمثلة، منها: نماذج النظافة، تطبيق أنظمة البناء، التوسع العمراني، شق الطرق الرئيسية، بل إن بعض هذه الطرق شق بعيدًا عن المناطق العمرانية؛ لكنه أصبح الآن في وسطها، ومنها كذلك الأسواق المركزية، والبلديات الفرعية التي كانت لها دور كبير في الرقابة، التشجير في مدينة صحراوية، اللامركزية، تحويل عدد من مزارع النخيل بعد تملكها إلى منتزهات، حجز أرض كبيرة جدًا في المطار القديم، لتصبح حديقة عامة للمدينة.

أمّا شق الطرق - كما أشرت إليه - فقد كان بارزًا وواضحًا، وساعد على تخفيف حركة المرور، وذلك يتم إما وسط أراضي الأمانة أو ضمن النسبة المخصصة للمرافق عند تخطيط أرض مملوكة للآخرين، وقد حصلت بعض المشاكل، لكنها لم تكن عائقًا، ولعلي أذكر بعض الحالات: قمنا باستملاك ستة منازل لجعلها مواقف لمستوصف الملز؛ فاعترض أهلها على التثمين - وكان التثمين منصفًا - فاجتمعت بهم لإقناعهم، ولما لم يقتنعوا قلت لهم: لا مانع سوف نبحث عن موقع آخر مجاور، وتبقى منازلكم لكم؛ لكن اثنين منهما كانا مقتنعين، فقلت لهما: عليكما إقناع جيرانكم، فقاموا بذلك، واقتنع الجميع، ثم اعترض أحد الملاك الذين نزعت منازلهم؛ لتكون مواقف لشارع المتنبي التجاري، فجاء إليّ - وكان منزله قريبًا من منزلي - فقلت له: يا أخي، هذا منزلي أحسن من منزلك، خذ منزلي وأعطني التعويض، ففكر قليلاً ثم قبل التعويض. وهناك مشاكل صغيرة تحصل من بعض أصحاب البيوت التي يبنونها مخالفة لمنسوب الشارع؛ فيرفضون أن يكون الشارع متساويًا مع منازلهم، لكن يتم علاج ذلك بالحسنى والتراضي.

إن المتأمل للخمسين عامًا الماضية سيرى أن الرياض قد شقت طريقها إلى الأمام بخطوات ثابتة، ومرتبة، وجريئة، وبتنسيق تام، ولا أود حصر ما تم في الرياض من خطوات تطويرية هائلة شملت جميع

الحقول والاتجاهات، ولا أريد أن أحصرها في النواحي الحضرية كأمين سابق لمدينة الرياض؛ ولكني كمواطن عايش الجزء الأكبر من هذه الفترة قرابة ستة وأربعين عامًا أستطيع أن أقول: إن ما تحقق في مدينة الرياض لا أصفه بما يشبه المعجزة، وإنما هو معجزة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فمن عدد محدود من المدارس إلى آلاف المدارس، بنين وبنات، حكومية وأهلية، عامة ومتخصصة، عشرات المستشفيات والمستوصفات، ومنها مستشفيات عالمية القدرات، طرق واسعة وحدائق عامة، جامعتان عظيمتان يعد موقعهما أكبر موقعين لجامعتين في العالم، كليات أخرى، بنين وبنات، تقنية، عسكرية، تربوية، معلمين ومعلمات، مراكز تدريب مهنية، حكومية وخاصة. مطار فريد من نوعه، حي السفارات وهو فريد من نوعه في العالم، طرق دائرية، تشجير الصحراء؛ فتحولت أرض الرياض الصعبة في الإنبات إلى واحة خضراء، توسع في العمران، وتنسيق بين الأحياء، مساجد وجوامع يذكر فيها اسم الله، ويرتفع الآذان من منائرها، وهي بالتأكيد أكثر مدينة فيها مساجد وجوامع. بُنيَةٌ اقتصادية متينة، بنوك، غرفة تجارية وصناعية، مراكز شركات كبرى.

إن المتأمل للخمسين عامًا الماضية سيرى أن الرياض قد شقت طريقها إلى الأمام بخطوات ثابتة

وغير ذلك كثير، مما سوف يستغرق صفحات كثيرة، فتطور مدينة الرياض يختلف عن تطور أي مدينة أخرى، فالفترة الزمنية القصيرة التي تم فيها هذا التطور لم يحدث في أي مدينة أخرى في العالم.

ومع هذا التطور الذي أشرت إليه آنفًا فإن هناك من يقول بأن وسط مدينة الرياض هدّم، واستبدل بمبان حديثة، وكان التمني استمرارها على ما كانت عليه، ولكن هؤلاء لا يعرفون أن هذه المباني غير قابلة للاستمرار مدة طويلة؛ لأنها بنيت على عجل، وبمواد غير قابلة للاستمرار، وهذا لا يعني أن الطين غير قابل للاستمرار،

فهناك بيوت كثيرة بنيت من الطين يزيد عمرها على ثلاثمئة سنة، بل توجد مدرسة معمارية عالمية حاليًا تنادي بالبناء بالطين، وقد زرت مدينة فرنسية حديثة اسمها (NEW TOWN)؛ أي المدينة الجديدة، بنيت مساكنها بالطين، ووضع على أحد شوارعها اسم المهندس المعماري الشهير/ حسن فتحي، وهو معروف بأنه يشجع ويَتبنَّى البناء بالمواد المحلية، ومنها الطين.

أعود إلى مباني وسط مدينة الرياض فأقول: إن السبب في عدم قدرتها على الاستمرار أنها بنيت بمواد غير معالجة، وتم بناؤها بسرعة؛ نظرًا للهجرة الكبيرة التي اتجهت إلى مدينة الرياض بعد استقرار الدولة في المملكة بقيادة البطل المغفور له الملك عبدالعزيز موحد المملكة العربية السعودية، وبالتالي فإنها كانت عرضة للتآكل بفعل عوامل التعرية والأمطار، وبقاء المياه تحت أساساتها؛ مما عرض كثيرًا منها للانهيار، كما أن أغلبها قد ضاق على العائلة بعد ازدياد أفرادها، أيضا هي غير صحية في الغالب، وليس فيها حدائق أو مرافق صحية مناسبة، وأزقتها ضيقة جدًا في أغلبها، وعندما تأتي الأمطار تتكدس المياه فيها، وتعرقل حركة المرور؛ وكلها سلبيات. بالإضافة إلى تحسن دخل المواطنين، ومد الخدمات في أنحاء مدينة الرياض؛ مما أدى إلى انتقال عدد كبير جدًا من الأهالي إلى خارج الكتلة العمرانية السابقة؛ لبناء بيوت حديثة صحية؛ تتوافر فيها المرافق الصحية والحدائق، وتستوعب أفراد العائلة كافة.

وبالتالي تحولت هذه المساكن إلى بؤر غير صحية يسكنها العمالة الوافدة، وبعضها يستخدم من قبل التجار مخازن لبضائعهم، كما تهدم الكثير منها، لذلك فإنها لو بقيت سوف تؤثر على مركز المدينة وأهم موقع فيها، ويجعلها عرضة لابتعاد الناس عنها بل وهجرها؛ ولذلك أصبح ضروريًا إعادة تخطيطها، وتطويرها، لكي تكون مركز جذب مع ملاحظة البناء في المنطقة بما يتناسب والعمارة المحلية

لمدينة الرياض القديمة. ونرجو أن يستمر ذلك؛ لتغطية جميع وسط المدينة بمبان حديثة وتخطيط عصري. وتجدر الإشارة إلى أنه تم الاحتفاظ بعدد من المباني التي تمثل النمط العمراني للمنطقة.

وأود أن أشير فيما يأتي إلى أبرز المواقف والقرارات التي قمت بها وأنا أتشرف بالعمل أمينًا لمدينة الرياض، منها:

١ - موضوع النظافة فمنذ أن تسلمت العمل رفعت رواتب العمال، وأعدت الأخ صالح الخليفة - الذي كان في إجازة تعقبها استقالة - إلى العمل مسؤولاً عن النظافة، واستقدمت عددًا مناسبًا من العمال من باكستان، وحصلت على دعم مادي من الوزارة؛ لتكليف مقاولين محليين لتنظيف بعض الأحياء.

٢ - تثبيت أنظمة البناء، وما يتطلب ذلك من مواقف حاسمة، وقرارات جريئة في مدينة كالرياض، تتوسع بسرعة، يَفِدُ إليها الآلاف من مناطق تختلف أنظمة البناء فيها عما تقرره مدينة الرياض راجيًا الناس على تطبيق الأنظمة بكل حزم وإصرار وعدالة.

٣ - نقل المحلات المقلقة للراحة وسط المدينة إلى مناطق مخصصة لمثل هذه الأنشطة ومحاطة بشوارع رئيسة، وصعوبة تطبيق ذلك على محلات اعتاد أهلها على العمل فيها لمدة طويلة، مثل: المناجر، محلات بيع مواد البناء، المصانع الصغيرة.

٤ - التشجير والإصرار عليه حتى غطيت شوارع الرياض الكثيرة جدًا بالأشجار، وانتشرت الحدائق وملاعب الأطفال في الأحياء كلّها، واتّبع الناس نهج الأمانة بتشجير بيوتهم. كذلك اهتمت الدوائر الحكومية بالأشجار، وتنسيق الحدائق.

٥- رغم الكمية الكبيرة والهائلة من التعويضات التي تصرف سنويًا فقد أصرت الأمانة على عدم دفع تعويض أي عقار إلا بعد

الإفراغ، وتسليم العقار للأمانة خاليًا من السكن والأثاث، وإنهاء التزاماته من الماء والكهرباء والهاتف. ورغم صعوبة ذلك، واحتياج بعض الناس إلى التعويض قبل الإخلاء فلم تستجب لهم الأمانة، وأصرت على موقفها حتى لا تجد نفسها في موقف حرج مع من قد لا يكونون محتاجين إلى التعويض، ولكن يماطلون بالإخلاء، ولله الحمد قبل الناس هذا المبدأ.

يتضح مما سبق بعض التطورات الداخلية في مدينة الرياض، أما ما حققته من إنجازات على المستوى الدولي، فقد شاركت في كثير من المناسبات الدولية، وحظيت بالتميز على غيرها من المدن العالمية، وكنتُ ممثلاً لمدينة الرياض في تلك المناسبات، وسأعرض فيما يأتي بعضًا منها:

- في ميلانو حصلت الرياض في مؤتمر المدن الكبرى ومعرضها المصاحب على الجائزة الأولى أمام مدن عالمية.
- في الجزائر حصلت الرياض على الجائزة الأولى في معرض شاركت فيه مدن عربية وعالمية.
- في عمان حيث عقد مؤتمر العواصم والمدن الإسلامية، ورافقه معرض للمدن الإسلامية حصلت فيه الرياض على الجائزة الأولى.
- في مدينة إشبيلية حيث أقيم المعرض الكوني عام ١٩٩٢م شاركت فيه جميع دول العالم، ومدته ستة شهور، افتتح في ٢٠ إبريل، وانتهى في ١٢ أكتوبر. وتقوم الإدارة الأسبانية المختصة المسؤولة عن المعرض بتقييم يومي لأنشطة الأجنحة المختلفة ومدى استقطابها للزوار، وتبين أن أول المعارض هو الجناح السعودي بدءًا من ١٢ أغسطس حتى إقفال المعرض في ١٢ أكتوبر، وهذا أكبر دليل على مكانة المملكة عمومًا، ومدينة الرياض خصوصًا مع ملاحظة أن المشتركين كانوا من جميع الدول كبارًا وصغارًا من

الولايات المتحدة إلى أصغر دولة، وضمنهم أسبانيا صاحبة الأرض والموقع.

أما معارض الرياض التي تحولت بعد ألمانيا ولندن وباريس إلى معرض المملكة فلقد كانت إنجازًا كبيرًا أذهل العالم.

وأود أن أشير في ختام الحديث عن أهم مظاهر التطور لمدينة الرياض على المستويين (الداخلي، والعالمي) إلى أوائل الشركات التي قامت بتخطيط مدينة الرياض، وكانت أولاها الشركة العالمية (دوسكيادس)، وذلك في أوائل التسعينيات من القرن الهجري الماضي، ثم تلتها شركة (ست إنترناشونال) في منتصف التسعينيات وأوائل القرن الهجري الحالي، ثم تسلمت العمل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وهي المسؤولة الآن (بالتعاون مع الأمانة) عن التخطيط العمراني والدراسات الاقتصادية والسكانية والاجتماعية والبيئية لمدينة الرياض وغير ذلك من الدراسات المتعلقة بالمدينة.

وأخيرًا لا يفوتني أن أشير إلى الرجل الذي كان خلف هذه الإنجازات العظيمة التي تحققت في مدينة الرياض في مرحلة قصيرة، ألا وهو صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، فقد كان له دورٌ كبير في دعم عمل الأمانة؛ لكن لا يمكن أن يعبر عنه في عجالة أو صفحات محدودة، فهو واسع ومتشعب، فله في كل ركن من أركان المدينة الواسعة دور مهم وأثر حميد ومعلم بارز؛ فهو المعلِّم والمرشد، والموجه، والداعم، والمتابع متابعة دقيقة ووافية لكل مشروع، وهو وراء كل خطوة خطتها الأمانة؛ ولذلك لا يمكنني الإشارة إلى عمل معين، أو مشروع معين، أو تنظيم معين فكلها جهوده، وعمله وتوجيهه، ومتابعته.

وبالمناسبة وما دمنا نتحدث عن مدينة الرياض وعن عملاقها ومهندسها وقائدها وخبير شؤونها، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، فإن الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض هي

إحدى أهم هدايا وإنجازات سمو الأمير لمدينة الرياض، فهو الذي فكر فيها (بوقت مبكر جدًا) وكأن الله - عز وجل - ألهمه إلى أن مدينة الرياض مقبلة على تطور عظيم، وتوسع فاق التصور؛ فقرر بثاقب بصره وبصيرته استباق ذلك، والاستعداد له بإنشاء هذه الهيئة التي أصبحت العضد الأيمن، والساعد القوي، والفكر النير لأمانة مدينة الرياض.

أما الرؤية المستقبلية لمدينة الرياض فلا شك أن إنجاز الحاضر يدل على ما خطط له في المستقبل، فالكثير منه قد تحقق، وبقية الأشياء المطلوبة، كالصرف الصحي، وتصريف السيول، وفك الاختناقات المرورية، وبناء المدارس والمستشفيات والمستوصفات، والحدائق العامة كلها تسير وفق برنامج معد إعدادًا جيدًا.

وختامًا ثمة مشكلة كبيرة تواجه مدينة الرياض ألا وهي الزيادة الكبيرة في عدد السكان، فلا أظن أن مدينة أخرى حول العالم يزداد عدد السكان السنوي فيها مثل ما هو حاصل في مدينة الرياض، ولعل السكن أحد أهم المشاكل التي تواجه الشباب في مدينة الرياض، ومن هنا يجيء دور القطاع الخاص، وواجبه في المشاركة الفعالة في تأمين السكن المناسب. كما أن قطاع المجتمع المدني يسهم حاليًا، وسوف يظل يسهم في تأمين مساكن للفقراء، وذوي الدخول المنخفضة.

وهكذا بتعاون القطاع العام، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني سوف تظل بإذن الله هذه المدينة المزدهرة عروس الصحراء، مفخرة من تولى أمرًا من أمورها في أي مجال من مجالات التطور والنماء.